خطبة صلاة الجمعة 31/ 3/ 2023 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(جبر الخواطر في السنة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 9-11].

قال المفسرون: تشير الآيات إلى أن جبر الخواطر واستئلاف الخلق من أعظم المقاصد في تمام الدين.

أخرج الإمام الترمذي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني**».

عنوان خطب رمضان: جبر الخواطر، وعنوان خطبة اليوم:

جبر الخواطر في السنة

أيها الإخوة:

جبر الخاطر مصطلح يعني العطف على المحتاج، والعون للمصاب، والسعي لإدخال السرور على قلبيهما.

وجَبرَ خاطرَه إذا سلّاه وعزّاه وفرّج الغم عنه، وجبر خاطره إذا طيب قلبه وتدارك ما فات من أمره، ومنه قولهم: "على الله جبر الخواطر".

الحزين محتاج إلى من يجبر خاطره بكلمة حانية، والفقير محتاج إلى من يجبر خاطره بنفقة كافية، والمريض محتاج إلى من يجبر خاطره بدعاء العافية، والمظلوم محتاج إلى من يجبر خاطره بشفاعة وافية. والمسن محتاج إلى من يجبر خاطره بزيارة شافية.

عندما يُقضى الدين عن المدين ينجبر خاطره، وعندما تصل المسافرَ رسالةٌ أو مهاتفةٌ ينجبر خاطره، وعندما تفتح للمهموم باب الأمل وتؤمله بالفرج ينجبر خاطره، وعندما تعين أرملة أو مسكيناً أو يتيماً تُجْبَرُ خواطرهم.

وفي السُّنة دعوةٌ نظرية وعملية لجبر خواطر الناس من حولك، فكم قرأنا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الداعيةَ إلى زيارة المريض ومواساة المصاب وكفالة اليتيم وإعانة المدين والتصدق على الفقير وبر الكبير والعطف على الصغير، ولين القول وصلاح الفعل وحسن الخلق. وكل هذه الفعال جبر لخواطر الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من عاد مريضا نادى مناد من السماء: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا»** [ابن ماجه]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة، إلا كساه الله سبحانه من حلل الكرامة يوم القيامة»** [ابن ماجه]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ليس منَّا من لم يوقِّر الكبير ويَرْحَمِ الصغير ويأمر بالمعروف وينهِى عن المنكر»**. [أحمد]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لمن قال طيب الكلام، وأفشى السلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام»**. [البيهقي في الشعب]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«اشفعوا تؤجروا»** [البخاري]

وهكذا تتتالى الأحاديث النبوية داعيةً إلى خصال جبر خواطر الناس، وقد كان صلى الله عليه وسلم يجبر خاطر من حوله كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ففي ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض، ويشيع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، وإن كانت الأَمَةُ من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ينزع يدَه من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة، في حاجتها).

وفي شعب الإيمان عنه رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافح رجلاً لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع، ولا يصرف وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرف).

جبر بخاطر مغيثٍ عندما شَفَع له عند زوجته بريرة ألا تفارقه: قال مغيث: يا رسول الله، اشْفَعْ إليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بريرةُ، اتقي الله، فإنه زوُجكِ وأبو وَلدِك، فقالت: يا رسول الله، تأمرني بذلك؟ قال: لا، إنما أنا شافع، فقالت: لا أريده، فكان دُمُوعُه تَسِيلُ على خدِّه.

وجبر بخاطر صحابي شديد الفقر أراد الزواج وليس عنده ما يقدمه مهراً للمرأة ففي الصحيحين: قام رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله زوِّجنِيها. فقال: «**فهل عندك من شيء؟**» فقال: لا والله يا رسول الله، فقال: «**اذهب إلى أهلِك فانظر هل تجِدُ شيئاً؟**» فذهب، ثم رجع، فقال: لا والله، ما وجدت شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**انظُرْ ولو خاتَماً من حديد**»، فذهب، ثم رجع فقال: لا، والله يا رسول الله، ولا خاتَماً من حديد، ولكن هذا إزاري فلها نصفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما تصنع بإزارك؟ إن لَبِسْتَهُ لم يكن عليها منه شيء، وإن لبِسَتْهُ لم يكن عليك منه شيء**» فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُوَلِّياً، فأمر به فَدُعِيَ، فلما جاء قال: «**ماذا معك من القرآن؟**» قال: معي سورة كذا، وسورة كذا – عَدَّدها – قال: «**تقرؤهنَّ عن ظهر قلبك؟**» قال: نعم. قال: «**اذهب، فقد زوجتكها بما معك من القرآن**».

وجبر بخاطر زاهر ساكن البادية، ففي مسند أحمد عن أنس، أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن زاهرا باديتنا، ونحن حاضروه**». وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، وكان رجلاً دميماً، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني مَنْ هذا، فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم، حين عرفه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**من يشتري العبد؟**» فقال: يا رسول الله، إذا والله تجدني كاسداً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لكن عند الله لست بكاسد**» أو قال: «**لكن عند الله أنت غال**».

وجبر بخاطر جرير بن عبد الله عندما لم يجد له مكاناً ليجلس فيه، عن جرير بن عبد الله البجلي، أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت مدحوس من الناس، فقام بالباب، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالاً، فلم ير موضعاً، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم رداءه، فلفه ثم رمى به إليه

فقال: «**اجلس عليه**». فأخذه جرير فضمه وقبله، ثم رده على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**».

وجبر بخاطر طفل صغير كان أخاً لسيدنا أنس بن مالك رضي الله عنهما، كان لأنس أخ يتيم اسمه أبو عمير وكان له طائر صغير، نغير، يلعب به، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم فيجد أبا عمير يلاعب النغير فيلاطفه، ويقول: يا أبا عمير ما فعل النغير.

وفي يوم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الصغير يبكي، فسأل فقيل له مات النغير، فجاء إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح على أسه وواساه وقال: يا أبا عمير ما فعل النغير، أتى عليه الدهر.

أيها الإخوة:

هذه مواطن في السنة المطهرة فيها جبرٌ للخواطر، ولها أمثال وأمثال، من جبر خواطر الضعفاء وجبر خواطر الأيتام وجبر خواطر الوجهاء وجبر خواطر المؤمنين.

واذكروا أن من مشى بين الناس جابراً للخواطر أدركه الله في جوف المخاطر، ومن فرَّج عن أخيه كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، فالجزاء من جنس العمل.

ولئن كان جبر الخواطر محموداً في الأوقات كلها فإنه في رمضان أشد استحباباً؛ لأنه شهر الصوم وشهر البر وشهر الجِد وشهر التعاون فطيبوا بشهركم نفساً وأرضوا به رباً.

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، لَقَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ مَا أَظَلَّ الْمُسْلِمِيْنَ شَهْرٌ قَطُّ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ... إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُعِدُّ فِيْهِ الْقُوَّةَ لِلْعِبَادَةِ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ لَيُعِدُّ فِيْهِ الغَفَلَات، فَهُوَ غُنْمٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَوِزْرٌ عَلَى الْمُنَافِقِ**».

والحمد لله رب العالمين